المدخل

إلى علم التفسير

تأليف

وسام بن حسن بن محمد الكحلاني

مسودة

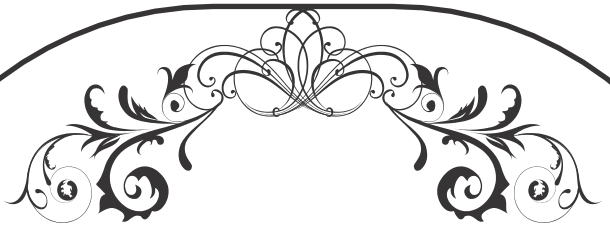

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إلا لمن أراد طبعه وتوزيعه مجانًا بعد أخذ إذن خطي من المؤلف

للتواصل مع المؤلف:

بريد شبكي: wesamkuhlany@gmail.com

هاتف: ٠٠٩٦٧٧٧٥١٤٨٣٢٢

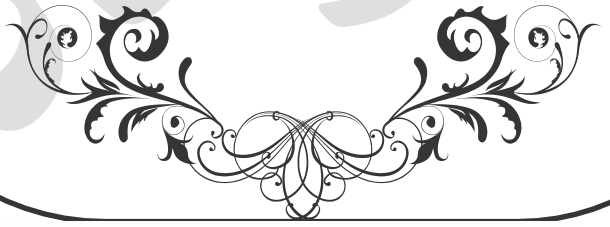

مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الرحمةُ المُهداة للعالمين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابته الغُرِّ الميامين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن علم التفسير من أجل وأعظم علوم الشريعة التي ينبغي أن يُعْنَى بها المُسلمون عمومًا، وأهلُ العلم خصوصًا، لتعلقه ببيان معاني كلام الله تعالى التي يحتاجها كُلُّ مُسلم، ودراسةُ عِلْمِ التفسير -كغيرها من العلوم- تحتاج إلى مَدخلٍ يُوصِلُ إليه؛ يَشْرَحُ مبادئَه، ويُصوِّر مسائلَه، ويُبَيِّنُ أصولَه وضوابطَهُ وأهمَّ متعلقاته، وقد جمعت هذه الرسالةَ تأسيسًا لطالب علم التفسير وتأصيله، وإكسابِهِ ملكةً تُعينُه على فَهْم كلام المفسرين، ومعرفةِ أصولِهم التي ساروا عليها، وكيفَ الترجيح بين أقوالهم، وهذا لا يُمكن تحصيله بكثرة القراءة والإقراء لكُتب التفسير، وإنما بضبط علوم الآلة المُعينة على فهم هذا العلم والنبوغ فيه، وهذا المدخلُ المُيَسَّرُ جامعٌ - بإذن الله تعالى- لأهم المباحث التي يحتاج إليها طالبُ عِلمِ التفسير، واللهَ أسألُ أن يجعله خالصًا لوجهه نافعًا لعباده، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه:

وسام بن حسن بن محمد الكحلاني

الفصل الأول

مبــادئ علــم التفسيــر

ينبغي لكل طالب علمٍ وفنٍ أن يعرف المبادئَ في الفن الذي يريد دراستَه، وهذه المبادئُ هي بوابة العلوم، ووسيلةُ الطالب لتصور الفنون، ومعرفةِ مباحثِها وأسسِها التي تقوم عليها، وثِمارِ دراستها، وضبطُ طالبِ العلم لهذه المبادئِ والأصول يُيَسرُ عليه فَهمَ الفنِّ واستيعابَه، وتحصيلَ ثمرتِه المقصودة، وذلك لارتكازه على ركن شديد، فلا بيت لمن لا أساس له، ولا نظم لمن لا وَزن عنده، وفي بيانها يقول الشيخ أبو العِرفان محمدُ بنُ عليٍّ الصَّبَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:

إِنَّ مَبَـادِئَ كُـلِّ عِلْــمٍ عَشَـرَةْ *** الحَـــدُّ وَالمَوضُـوعُ ثُــمَّ الثَّمَــرَةْ

وَنِسْبَـةٌ وَفَضْلُهُ وَالوَاضِــــعْ *** وَالِاسْـمُ الِاسْتِمْدَادُ حُكْمُ الشَّـــارِعْ

مَسَــائِلٌ وَالْبَعْضُ بِالْبَعْضِ اكْتَفَـى *** وَمَنْ دَرَى الجَمِيْعِ حَازَ الشَّــرَفَا

---

(١) هو الشيخ المقرئ النحوي الأديب أبو العرفان محمد بن علي الصبان المصري، المتوفى في القاهرة سنة ١٢٠٦هـ، وهو صاحب الحاشية على شرح الأشموني في النحو، والحاشية على شرح السعد التفتازاني في المنطق، وله قصيدة في مصطلح الحديث والعديد من التصانيف نظمًا ونثرًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

المبادئ العشرة لعلم التفسير

أولا: حده: التفسير لغةً: مشتق من مادة (فَسَرَ)، وهي تدل على ظهور الشيء وبيانِه، ومنه الكشف عن المعنى الغامض. يقال: "أسفر الصبح" إذا بان وظهر.

وفي الاصطلاح: علمٌ يُعنَى ببيان معاني كلام الله تعالى ومدلولاته.[1]

ثانيا: موضوعه: تبيان معاني القرآن الكريم ومدلولاته.

ثالثا: ثمرته: فهم كلام الله تعالى.

رابعا: نسبته: من العلوم الشرعيّة، ونسبته إليها نسبة الفرع إلى الأصل.

---

(١) وأما تعريف الزركشي في البرهان للتفسير بأنه: "عِلْمٌ يُفهم به كتاب الله جل وعلا المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه". وما كان بنحوه من التعاريف، فليست تعريفًا للتفسير عند التحقيق، وإنما هو تعريف للتفسير المشتمل على علوم القرآن، فالتفسير منحصر في بيان معاني كلام الله، ولذا قال الأصبهاني في تفسيره: اعلم أنَّ التفسير في عُرْفِ العلماء؛ كشف معاني القرآن، وبيان المُراد.

وأمَّا على تعريف العلامة الزركشي وأشباهه فسنُخْرِجُ عن مسمى التفسير الكثير مِن كُتب التفسير كتفسير السَّعْدي، وزبدة التفسير، والتفسير الميسر، والمختصر في تفسير القرآن الكريم، وأشباهها من التفاسير!

ويؤكِّد ما سبق أن أئمة التفسير الذين صنفوا كُتبًا في التفسير مشتملة على بعض علوم القرآن، لم يُسَمُّوا تصانيفهم بالتفسير؛ وإنما بعلوم القرآن ونحوه، ومنه تفسير ابن جُزي المسمى (التسهيل لعلوم التنزيل)، وتفسير القرطبي المسمى (الجامع لأحكام القرآن الكريم)، وتفسير السَّمين الحَلَبي المسمى (الدُّر المَصُون في علوم الكتاب المكنون) وغيرها.

خامسا: فضله: مِن أفضل العلوم، وأجلِّها شرفًا، وأعلاها مكانة؛ لاختصاصه ببيان معاني كلام الله تعالى في كتابه الكريم[١].

سادسا: واضعه: بعض أصحاب رسول الله ﷺ، ومن جاء بعدهم من المجتهدين، وقد جزم بعضهم أن ابن عباس رضي الله عنهما هو أول واضع لهذا العلم[٢].

سابعا: اسمه: تفسير القرآن الكريم[٣].

---

(١) قال السيوطي في الإتقان: فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث:

أما من جهة الموضوع: فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يَخْلَق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه.

وأما من جهة الغَرَض: فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى.

وأما من جهة شدة الحاجة: فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى.

(٢) والمقصود بالوضع لهذا العلم أي الوضع الأولي البدائي، فعلم التفسير كغيره من العلوم بدأ في صورة إلقاء بعض مباحثه، أو تدوين بعض مسائله، ثم تطور يوما بعد يوم إلى أن وصل إلى صورته المعروفةِ اليومَ في التصانيف المطبوعة المتداولة.

(٣) ومنهم من يُطلق عليه أيضًا تأويل القرآن الكريم، فالتفسير والتأويل بمعنى واحد عند أبي عُبيد وطائفة من العلماء، وهما مُتغايران عند الراغب وغيره ورجحه الزركشي في البرهان ونقل فُرُوقًا بينهما، انظر البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٩٤)، والإتقان (٢/ ٤٤٩).

ثامنا: استمداده: مِن السُّنة النبوية، والآثار السَّلفية، واللغة العربية.

تاسعا: حكم تعلمه: واجب كفائي[1].

عاشرا: مسائله: معاني المفردات والآيات.

مسودة

(١) قال السيوطي في الإتقان: وقد أجمع العلماء أنَّ التفسير من فروض الكفايات.

وقال الزركشي في البرهان: (إن القرآن إنما أُنزل بلسان عربي مُبين في زمن أفصح العرب، وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه، أما دقائق باطنه فإنما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر من سؤالهم النبي ﷺ في الأكثر...فنحن نحتاج إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ما لم يكونوا محتاجين إليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تَعلُّم؛ فنحن أشد الناس احتياجا إلى التفسير)

الفصل الثاني

نشأة علم التفسير وتطوره[1]

لقد أُنزِل القرآنُ الكريمُ بلسان عربي مبين، على رسول عربي أمين، وتكفَّل الله سبحانه بحفظه وبيانِه جُملةً وتفصيلا، فقال جَلَّ ذِكْرُه: ((إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ)).

وأَمَرَ اللهُ تعالى نَبِيَّه ﷺ أن يُبَيِّنَه للناس، فقال جَلَّ ذِكْرُه: ((وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ))[2].

وكان الصحابة رضي الله عنهم يَفْهَمُونَ مُعْظَمَ القرآنِ الكريم؛ لأنه نَزَل بِلُغَتِهِم، وشَهِدُوا التنزيل، وعرفوا أحواله، وأحوال مَن نَزَل فيهم من العرب واليهود، وكان النبي ﷺ يُبَيِّنُ لهم بعض ما يُشْكِلُ عليهم من معاني المفردات والآيات.

فلما انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى قَيَّضَ الله عز وجل الصحابةَ الكرامَ رضي الله عنهم ، يُبَيِّنُوا للناس مُرَادَهُ مِن كَلَامِه، مما تَلَقَّوه عن رسول الله ﷺ ، أو فهموه من لغتهم، ومعايشتهم لنزول الوحي، ومعرفتهم بأسبابه، وقد عُنِيَ بعض علماء الصحابة رضي الله عنهم بتفسير القرآن الكريم

---

(١) انظر: نفحات من علوم القرآن (ص ١٢٩).

(٢) وهذه الآية الكريمة تدل على أن مِن القرآن الكريم ما يحتاج إلى بيان وإيضاح، وأن كل ما فيه لا يفهمه كُلُّ الناس، وهذا يدل على شدة احتياج الأُمة إلى تعلم التفسير وتلقيه عن العلماء، وأنه ليس لأي أحد أن يتكلم في معاني القرآن ودلالاته إلا بعلم؛ حتى لا يُنسب إلى الله تعالى غيرُ مراده سبحانه، كما يصنع بعض المثقفين المتجرئين على تفسير كلام الله تعالى على ما يوافق أهواءهم، وعقولهم، ونظرياتهم وإلى الله المشتكى.

وإيضاحه بحسب الحاجة، وكان أشهرهم في علم التفسير الخلفاءَ الأربعةِ وعبدَالله بن عباس وعبدَالله بن مسعود وأُبيَّ بن كعب وزيدَ بن ثابت وأبا موسى الأشعري وعبدَالله بن الزبير وغيرَهم، وأكثرهُم رواية عبدُالله بنُ عباس وابنُ مسعود وعليٌّ بنُ أبي طالب ﷺ .

وقد كان يعقِد بعض الصحابة ﷺ مجالسًا في التفسير، حتى اشتهرت بعض المدارس بالتفسير وتتلمذ فيها كثير من التابعين وهذه المدارس هي:

مدرسة التفسير بمكة: قام عليها عبدالله بن عباس ﷺ .

وأشهر تلامذته: سعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وعكرمة.

ومدرسة التفسير بالمدينة: وقام عليها أُبي بن كعب ﷺ .

وأشهر تلامذته: زيد بن أسلم، وأبو العالية، ومحمد بن كعب القُرظي.

ومدرسة التفسير بالعراق: وقام عليها عبدالله بن مسعود ﷺ .

وأشهر تلامذته: علقمة بن قيس، ومسروق الأجدع، والاسود بن يزيد، ومرة الهمداني، وعامر الشعبي، والحسن البصري، وقتادة بن دَعامة السدوسي.

فحمل هؤلاء وأضرابُهم علمَ التفسير وعُنُوا به ثم نقلوه لمن بعدهم، وهكذا من بعدهم تلقوا هذا العلمَ وحرَّرُوه وهذبوه وزادوا عليه علومًا ونقلوه لمن بعدهم، وهكذا لم يزل علمُ التفسير يحمله من كل خَلفٍ عُدُولُه مِمَّن قيضهم الله لحمل كتابه وتبيانه للناس وإلى يومنا هذا والحمد لله رب العالمين.

الفصل الثالث

مراحل التدوين في التفسير[1]

بدأ عصر التدوين للتفسير في عصر التابعين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ فقد روى ابن جرير الطبري عن ابن أبي مُليكة قال: رأيت مجاهدا سأل ابن عباس عن تفسير القرآن، ومعه ألواحه، فقال ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله.

وذكر الحافظ ابن حجر في ترجمته لعطاء بن دينار الهذلي، أن عبد الملك بن مروان سأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن، فكتب سعيد بهذا التفسير، فوجده عطاء في الديوان، فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير.

وكذا أبو العالية رفيع بن مهران كتب نسخة في التفسير عن أُبي بن كعب بإسناد قال عنه السيوطي في «الإتقان»: «وهذا إسناد صحيح».[2]

ثم جاء من بعدهم ابن جُرَيج عبدالملك بن عبدالعزيز فكتب في التفسير ثلاثة أجزاء كبار، عن ابن عباس رضى الله عنهما.

ثم ظهر تفسير ليحيى بن سلام (ت ٢٠٠ هـ)، وقد اهتم فيه بإيراد الأخبار، وتعقبها بالنقد والاختيار، واهتم أيضا بالنواحي الإعرابية والقراءات وتوجيهها.

ثم سار التدوين في التفسير بعد ذلك خطوةً أقرب إلى الشمولية لمعظم آيات القرآن الكريم، حيث كتب الفراء (ت ٢٠٧هـ) كتابا في معانى القرآن، مُتَتَبِّعًا آيات القرآن، حسب

---

(١) انظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة: ص ٢٤٨

(٢) وقد رَوى من هذه النسخة جماعة من العلماء، كالإمام أحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه، وغيرهما.

كتابتها في المصحف الشريف،[1] ثم استمر التدوين في التفسير ينمو ويزدهر، حتى وصل إلى مرحلة الاستقصاء لكل آية من آياته، وكان ذلك على أيدي جماعة من علماء السلف، من أشهرهم الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، وابنِ أبى حاتم (ت ٣٢٧ هـ)، وابنِ مَردويه (ت ٤١٠ هـ)، وغيرِهم من الأئمة الفضلاء.

وقد اشتملت هذه المصنفات على التفسير المأثور فقط، عدا تفسير ابنِ جرير، فإنه كان يزيد على المأثور بتوجيه الأقوال، وترجيحِ بعضها على بعض، وذِكرِ الإعراب والقراءات، واستنباط الأحكام وغير ذلك، فلذلك كان له الميزةُ على غيره من تفاسير المتقدمين، وكان المُعَوَّلُ عليه عند المتأخرين.

ثم استمر التدوين في التفسير يتطورُ يوما بعد يوم وإلى يومنا هذا، وتنوعت اتجاهاتُ المفسرين وطرائقُهُم في التصنيف كما سيأتي بيانه إن شاء الله في الكلام على أنواع التفسير.

(١)وهذا التدوين للتفسير من حيث الاستقلالية، وإلا فقد جُمع الشيءُ الكثير من المرويات في التفسير في كتب الحديث تبعًا لعلوم السنة، كغيره من العلوم التي استوعبتها كتب الحديث كالفقه والعقائد والآداب وغيرها.

الفصل الرابع

علاقة التفسير بعلوم القرآن

يعتبر علم التفسير أحد علوم القرآن؛ فعلوم القرآن تشمل جميع العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم كنزوله، وترتيبه، وجَمْعِه، وكتابته، ورسمه، وعد آياته، ومعرفة تجويده وقراءاته، وغريبه وتفسيره، ومُحْكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وإعرابه وغير ذلك.

فعلوم القرآن أعم وأشمل من علم التفسير، وإنما صار عِلمُ التفسير عِلمًا مستقلا؛ لأهميته، والتبكير في التصنيف فيه استقلالًا، ومكانته بين علوم القرآن لأنه المَعْنِي ببيان وإيضاح معاني النص القرآني ودلالاته بخلاف علوم القرآن ، وقد كان كثير من المفسرين يجمعون علوما كثيرة من علوم القرآن في تفاسيرهم كأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والقراءات، والإعراب، والأحكام وغيرها، فصار شأن كتب التفسير أعظمَ من كتب علوم القرآن لهذه الاعتبارات، والعلم عند الله.

الفصل الخامس

مصـــادر التفسيـــر

تختلف مصادر التفسير مِن عَصْر لآخر ومِن مُفسِّر لآخر، وعلى كُلٍّ فإن المصادر المعتبرةَ في التفسير بالجملة سبعة وهي:

١ - تفسير القرآن بالقرآن.

٢ - تفسير القرآن بالسُّنَّة النبوية.

٣ - تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

٤ - تفسير القرآن بأقوال التابعين.

٥ - تفسير القرآن باللغة العربية.

٦ - تفسير القرآن بالإسرائيليات.

٧- تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد.

وإليك تفصيل ذلك:

أولا: تفسير القرآن بالقرآن:

المتأمل في القرآن الكريم يجد أنه قد اشتمل على الإيجاز والإطناب، وعلى الإجمال والتبيين، وعلى الإطلاق والتقييد، وعلى العموم والخصوص، وما أُوجِزَ في مكان قد يُبْسطَ في مكان آخر، وما أُجْمِلَ في موضع قد يُبيَّن في موضع آخر، وما جاء مُطْلقًا في ناحية قد يلحقه التقييد في ناحية أخرى، وما كان عامًا في آية قد يدخله التخصيص في آية أُخرى.

ولهذا كان لا بد لمن يقومُ بتفسير كتاب الله تعالى أن ينظر في القرآن أولاً، فيجمع ما تكرر منه في موضوع واحد، ويقابل الآيات بعضَها ببعض، ليستعينَ بما جاء مُفَصَّلا على معرفة ما جاء موجَزًا، وبما جاء مُبيَّنًا على فهم ما جاء مُجْمَلاً، وليحمل المُطْلَق على المقيَّد، والعامَ على الخاص، وبهذا يكون قد فسرَّ القرآن بالقرآن، وفَهِم مرادَ اللهِ بما جاء عن

الله، وهذه مرحلة لا ينبغي لأحد أن يَغْفَل عنها؛ لأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه، وأعرفُ به من غيره، وقد عُني بهذه الطريقةِ جماعة من المفسرين منهم ابن كثير والشنقيطي وغيرُهما.

ومما يُنبَّه عليه هنا هو: أن حمل مفهوم آية على آية هو من اجتهاد المفسِّر، سواءً أكان المفسر من الصحابة، أو التابعين، أو ممن جاء بعدهم، فمصدر هذا النوع من التفسير هو الاجتهاد، والاجتهاد يحتمل الصواب والخطأ، ولذا لا يُجزَم بصحته ويُرد غيره إلا في حالتين:

أحدهما: أن يكون التفسير واردًا عن النبي ﷺ كتفسيره الظلم في سورة الأنعام بالشرك من سورة لقمان.

والثانية: أن تَرِد الآية في سياق التفسير لِما قبلها، كقوله تعالى: {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ} [الطارق: ١ - ٣]، فلا يُمكِن لأحد أن يفسِّر (الطارقَ) بأنه النجم الثاقب بمحض الاجتهاد دون الرجوع إلى بيانها في الآية بعدها.

وهنا نذكر بعض صور تفسير العلماء للقرآن بالقرآن:

- فمِن صوره حَمْلُ المُجمَل على المبيَّن لِيُفسَّر به، ومِن أمثلته قوله تعالى في سورة المائدة آية [١] : {أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأنعام إِلاَّ مَا يتلى عَلَيْكُمْ}، فسرتها الآية [٣] من السورة نفسها وهي قوله: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الميتة...}.

- ومِن صوره حمل المُطْلق على المُقيَّد لِيُفسَّر به، ومن أمثلته آية الظِّهَار مع آية القَتْل، ففي كفَّارة الظِّهَار يقول تعالى في سورة المجادلة آية [٣] : {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} .. وفي كفَّارة القتل، يقول سبحانه في سورة النساء آية [٩٢] : {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ}،فقُيِّدت الرقبة في الظهار بالإيمان حَملا على القيد في آية كفارة القتل.

- ومِن صوره حمل العام على الخاص لِيُفسَّر به، ومن أمثلته قوله تعالى في سورة النساء آية (١١٠): {مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} .. فإن ما فيها مِن عموم قد خُصِّصَ بمثل قوله تعالى في سورة الشورى آية (٣٠): {وَمَآ أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ} .

- ومن صوره تفسير لفظة بلفظة: وذلك أن يَرد في سياقٍ لفظٌ غريبٌ ثم يُذْكَر في موضع آخر معنىً أوضحُ من ذلك اللفظ فيُفسَّر به، ومثاله قوله تعالى: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ} [هود: ٨٢].

وفي موضع آخر قال: {لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ} [الذاريات: ٣٣]، والآيتان وردتا في شأن قوم لوط، فمعنى سجين: طين.

- ومن صوره تفسير معنىً بمعنى: مثل تفسير قوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ} [النساء: ٤٢] بقوله تعالى: {وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} [النبأ: ٤٠]، فتفسير التسوية بالأرض أن يصير تُرابًا.

- ومن صوره الجمع بين ما يُتوهَّم أنه مختلف، كخلق آدم من تراب في بعض الآيات، ومن طين في غيرها، ومن حمأ مسنون، ومن صلصال، فهذا ليس اختلافا وإنما فيه ذِكْرٌ للأطوار التي مَرَّ بها خلق آدم عليه السلام مِن مبدأ خلقه إلى نفخ الروح فيه.

- ومن صوره حَمْلُ بعض القراءات على غيرها، فبعض القراءات تختلف مع غيرها في اللفظ وتتفق في المعنى، فقراءة ابن مسعود ﷺ لقوله تعالى: {أو يكون لك بيت من ذَهَبٍ} تُفسِّر لفظ الزخرف في القراءة المشهورة:{أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ} وقد

رُوي عن مجاهد أنه قال: "لو كنتُ قرأتُ قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ما احتجتُ أن أسأله عن كثير مما سألته عنه".[١]

ثانيا: تفسير القرآن بالسنة النبوية:

لقد كان مصدر النبي ﷺ لتفسير القرآن الوحي المُنزَّل عليه، وقد بَيَّن ﷺ الكثير من معاني القرآن لأصحابه، ولم يُبين كل معاني القرآن؛ لِأن مِن القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه، ومنه ما تَعْلَمُه العَرَبُ من لُغاتها.

حكم التفسير النبوي: إذا صح التفسير عن النبي ﷺ فيُكتَفَى به ولا حاجة إلا قول غيره فضلا عن اعتماده أو تقديمه عليه ، قال العلامة القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَإِنْ صَحَّ فَهُوَ أَعْلَى مَا يُقال، ولا يبقى لأحد معه مقال.[٢]

وقد اهتم جماعة من المفسرين بالتفسير المأثور عن النبي ﷺ وقدموه على غيره ومنهم: البغوي وابن عطية والقرطبي وابن كثير وغيرهم، وهنا نأتي لذكر صور التفسير النبوي للقرآن الكريم.

صور تفسيره ﷺ للقرآن الكريم أربعة:

١ - أن يبتدأ بالتفسير فينص على تفسير آية أو لفظة، وله أسلوبان:

أ- أن يذكر التفسير، ثم يذكر الآية المفسَّرة.

ب - أن يذكر الآية المفسَّرة، ثم يذكر تفسيرها.

٢ - أن يُشْكِل على الصحابة فهم آية فيفسرها لهم.

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون (١/ ٣١)

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم عند تفسير قوله تعالى: ((إن الإنسان لربه لكنود)) من سورة العاديات (١٠/ ١٤٣).

٣ - أن يذكر في كلامه ما يصلح أن يكون تفسيراً للآية.

٤ - أن يتأول القرآن، فيعمل بما فيه من أمر، ويترك ما فيه من نهي.

وإليك أمثلة هذه الأنواع:

١ - أن ينص على تفسير آية أو لفظة، وله أسلوبان:

الأول: أن يذكر التفسير ثم يذكر الآية المفسَّرة: مثاله: قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَانُ وُدًّا} [مريم: ٩٦].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحبَّ الله عبداً نادى: يا جبريل إني أحببت فلاناً فأحبه، قال: فينادي في السماء، ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض، فذلك قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَانُ وُدًّا}، وإذا أبغض الله عبداً نادى: يا جبريل، إني أبغضت فلاناً فينادى في السماء، ثم تنزل له البغضاء في الأرض» رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

الثاني: أن يذكر الآية الكريمة المفسَّرة، ثم يذكر تفسيرها:

مثاله: قوله تعالى: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ} [الأنفال: ٦٠].

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: «{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي» رواه مسلم.

٢ - أن يُشكل على الصحابة فهم آية فيفسرها لهم:

فعن عبد اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} الآية [الأنعام: ٨٢]، شق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله، أينا لم يظلم نفسه؟! قال: «ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: {يَابُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: ١٣]» رواه البخاري.

٣ – أن يذكر في كلامه ما يصلح أن يكون تفسيرًا للآية:

مثاله: قوله تعالى: {وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ} [الفجر: ٢٣].

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، لكل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» رواه مسلم.

٤ – أن يتأول القرآن فيعمل بما فيه من أمر:

مثاله: قوله تعالى: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ} [النصر: ٣].

قالت عائشة رضي الله عنها: ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ} إلا يقول فيها: «سبحانك ربنا وبحمدك، اللّٰهُمَّ اغفر لي»، وفي رواية عند البخاري قالت: كان يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللّٰهُمَّ ربنا وبحمدك، اللّٰهُمَّ اغفر لي» يتأول القرآن. متفق عليه.

ثالثا: التفسير بأقوال الصحابة ﷺ:

وكان للصحابة ﷺ خمسة مصادر لتفسير القرآن الكريم وهي:

١ – القرآن الكريم.

٢ – السنة النبوية.

٣ – اللغة العربية.

٤ – الإسرائيليات.

٥ – الفهم والاجتهاد.

وكانوا في كل هذه المصادر أدقَّ من غيرهم، لأنهم شَهِدوا التنزيل وعرفوا أحواله، ولأنهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن، ولأنهم عرفوا أحوال من نزل فيهم القرآن من العرب واليهود، و لسلامة مقاصدهم، و حسن فهمهم.

- فمن أمثلة تفسيرهم بالقرآن ما رواه ابن جرير عن خالد بن عرعر قال سمعت عليّاً ﷺ يقول: في قوله تعالى: {وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ} [الطور: ٥]، السقف المرفوع: هو السماء، وقال: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} [الأنبياء: ٣٢]
- ومن أمثلة تفسيرهم بالسنة ما أخرجه البخاري عن ابن عباس ﷺ قال: {لتركبن طبقا عن طبق} ، قال: حالا بعد حال ، قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم .

ومن أمثلة تفسيرهم باللغة ما رواه ابن جرير عن ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: {وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ} ، قال: سَمِعت لربها.

- ومن أمثلة تفسيرهم المستنِد على أقوال أهل الكتاب: سؤال ابن عباس ﷺ لأبي الجلد[1]، فقد روى ابن جرير بسنده عن الحسن بن الفُرات عن أبيه قال: كتب ابن عباس ﷺ إلى أبي الجلد يسأله عن الرعد، فقال: الرعد الريح.

(١) أبو الجلد جيلان بن فروة الأسدي البصري تابعي ثقة صاحب كتب التوراة ونحوها. "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم "٢/ ٥٤٧"

- ومن أمثلة تفسيرهم بالاجتهاد ما رواه الإمام البخاري عن ابن عباس ﷺ أنه قال: «خلق الله الأرض في يومين، ثم استوى إلى السماء فسواهنّ في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحوها أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينه في يومين آخرين، فذلك قوله: {دَحَاهَا}، وقوله: {خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ} فجعل الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السماء في يومين» جمعا بين الآيات في سورتي النازعات وفصلت.[1]

- حكم تفسير الصحابي[2]:

تفسير الصحابي له أقسام، وكل قسم له حكم خاص، وهذه الأقسام هي:

١- ما له حُكم الرفع، وهذا يشمل أسباب النزول، والإخبار عن المغيَّبات، وحكم هذا: القَبول، إذا صح الخبر فيه، وسبب ذلك أن هذا مما لا مجال للاجتهاد فيه، ويلحق بهذا ما أجمع عليه الصحابة؛ لأن الإجماع حجة، فيكون بقوة المرفوع.

---

(١) آيات سورة فصلت قوله سبحانه: {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}، وآيات سورة النازعات قوله تعالى: قال تعالى: {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ}.

٢) فصول في أصول التفسير للشيخ مساعد الطيار (ص٥٠-٥١) بتصرف يسير.

فمن أمثلة أسباب النزول؛ ما رواه الحاكم عن جابر قال: كانت اليهود تقول: من أتى امرأته من دُبرها في قُبُلها جاء الولد أحول، فأنزل الله عزّ وجل: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ} [البقرة: ٢٢٣].

قال أبو عبدالله الحاكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هذا الحديث وأشباهه مسند عن آخرها وليست بموقوفة؛ فإن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا فإنه حديث مسند.

٢- منه ما رجعوا فيه إلى لغتهم، وحكم هذا القبول كذلك؛ لأنهم هم أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وهم أعلم بلغتهم من غيرهم.

٣ - منه ما رجعوا فيه إلى أهل الكتاب، وهذا له حُكم الإسرائيليات.

٤ - منه ما اجتهدوا فيه، وهذا فيه تفصيل:

أـ أن يتوافق اجتهادهم؛ فيكون حجة .

ب ـ أن يختلف اجتهادهم؛ فَيُرَجَّحُ بين أقوالهم.

ج- أن يَرِدَ التفسير عن أحدهم، ولا يعلم له مخالف؛ فهذا الأخذ به أولى، خصوصا إذا حفَّت به قرائن القَبول؛ كأن يكون من علماء الصحابة المُشتهرين بالتفسير؛ كعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عباس، أو قَبِلَهُ من جاء بعدهم وأخذ به، وغيرها من القرائن.

رابعا: التفسير بأقوال التابعين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ [1]:

لقد احتج العلماء بأقوال التابعين في التفسير؛ لأنهم تلقوا التفسير عن الصحابة مباشرة، وكانوا في عصر الاحتجاج اللغوي، فلم تفسد ألسنتهم بالعُجمة، وكان لهم من

---

(١) انظر: فصول في أصول التفسير للشيخ مساعد الطيار (ص ٥٢ - ٥٥).

الفهم وسلامة المقصد ما لهم، وكل هذا جعل من جاء بعدهم يرجع إلى أقوالهم في التفسير، ويعتمدُها، ومصادرهم في التفسير هي:

١ - القرآن الكريم.

٢ - السنة النبوية.

٣ - تفسير الصحابة

٤ - اللغة العربية.

٥ - الإسرائيليات.

٦- الفهم والاجتهاد.

- فمن أمثلة تفسيرهم بالقرآن ما رواه ابن جرير في تفسير مجاهد بن جبر لقوله تعالى: {ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ} [عبس: ٢٠] بقوله تعالى {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان: ٣]
- ومن أمثلة تفسيرهم بالسنة النبوية ما رواه ابن جرير عن الحسن في تفسير قوله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ} [المائدة: ٢٧]، قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ضرب لكم ابني آدم مثلاً، فخذوا من خيرهم ودعوا الشر»
- ومن أمثلة تفسيرهم بأقوال الصحابة ما رواه ابن جرير بسنده عن الضحاك في تفسير قوله تعالى: {يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ} [ق: ٣٠] قال: كان ابن عباس يقول: «إن الله الملك قد سبقت منه كلمة {لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ} [الأعراف: ١٨] لا يُلقى فيها شيء إلا ذهب فيها، لا يملؤها شيء، حتى إذا لم يبق من أهلها أحد إلا دخلها ـ وهي لا يملؤها شيء ـ أتاها الرب فوضع قدمه عليها، ثم قال لها: هل امتلأت يا جهنم؟ فتقول: قط قط، قد امتلأت ..»

- ومن أمثلة تفسيرهم باللغة ما رواه ابن جرير في تفسيره عن مجاهد، وقتادة، وابن زيد أنهم قالوا في معنى (باسقات): الطوال، في قوله تعالى: {وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ} [ق: ١٠]
- ومن أمثلة تفسيرهم بالإسرائيليات ما رواه ابن جرير عن بعض التابعين في مائدة النصارى قوله:

قال أبو عبد الرحمن السُّلمي: نزلت المائدة خُبزًا وسمكًا.

وقال عطية: المائدة سمكة فيها طعم كل الطعام

- وأما تفسيرهم بالرأي والاجتهاد: فقد أَعْمَل التابعون فهمهم واجتهدوا في تفسير القرآن، وإبراز فوائده، وكان بينهم في ذلك اختلاف، نظرًا لأن مرجع ذلك هو عقولهم وعلومهم، وهي تختلف باختلاف أشخاصهم، ولذا فقد يكون لهم في فهم الآية أكثر من معنى، وكل معنى مبني على ما سبق من المصادر المذكورة سابقًا؛ كاختلافهم في نوع المائدة، واختلافهم في القرء، والبروج، والعاديات، وغيرها.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: {ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ} [عبس: ٢٠]، قال السُّدي، وقتادة: يسَّر خروجه من بطن أمه، وقال مجاهد، والحسن: يسَّر سبيل الخير والشر.

- حكم تفسير التابعي:

تفسير التابعي مما يُحتج به ولكن بشروط:

أ- صحته إلى قائله.

ب- صحة مُسْتَنَدِ قائله.

ج- وعدم مُعارضته لِما هو أولى منه.

خامسا: التفسير باللغة العربية[1]:

التَّفسيرَ باللُّغةِ له صورتان:

١- ما لا يَحْتَمِلُ إلاَّ معنى واحدا، وهذا أَشْبَهُ بالمصادرِ النَّقليَّةِ لعدمِ وجودِ احتمالٍ آخرَ في تفسيرِه يحتاجُ إلى استدلالٍ.

٢- ما يَحتمِلُ أكثرَ من معنى، وحَمْلُه على أحدِ هذهِ المحتمَلاتِ يَعتمِدُ على الرَّأيِ والاجتهادِ، وبذا يكونُ داخلاً في الاستدلالِ.

وبضَرْبِ المثالِ يَتضِحُ المَقال:

١ - قولُه تعالى: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ} [الكوثر: ٣]، لم يقعْ خلافٌ في أنَّ تفسيرَ «شانئك»: مُبْغِضُكَ، ذلك أنَّه لا يوجد لمعنى الشانِئ في لغةِ العربِ غيرُ هذا المعنى.

لذا لا يمكنُ أنْ يحتملَ التَّفسيرُ قولاً آخرًا، فالتَّفسيرُ اللُّغويُّ ـ في مثلِ هذه الحالةِ ـ أشبهُ بأنْ يكونَ تفسيرًا نقليًا، لأنه لا أَثَرَ في مِثْلِ هذا المثالِ لاجتهادِ المفسِّرِ في اختيارِ أحدِ المحتمَلاتِ اللُّغويَّةِ.

٢ – وفي قوله تعالى: {فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ} [الواقعة: ٥٥] ورد في معنى «الهيم» قولان:

القولُ الأوَّلُ: الإبلُ العِطاشُ.

قاله: ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وعكرمةُ، والضَّحَّاكُ، وقتادةُ.

القولُ الثاني: الرَّملُ، قاله: سفيانُ الثَّوريِّ.

ومرجِعُ الخلافِ في هذا التَّفسيرِ هو الاحتمالُ اللُّغويِّ في كلمةِ الهِيمِ؛ لأنها تحتملُ هذا وذاك على سبيلِ الاشتراكِ اللُّغويِّ في المدلولِ.

---

(١) انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم للشيخ مساعد الطيار (ص٦٣-٦٤)

ومِن ثَمَّ، فاختيارُ المفسِّرِ أحدَ المعنيينِ المحتمَلينِ اجتهادٌ منه، وهو راجعٌ إلى الاستدلالِ. والله أعلم.

سادسا: التفسير بالإسرائيليات[1]:

المصدر السادس للتفسير هي الأقوال المأخوذة عن أهل الكتاب من بني إسرائيل، وذلك أن القرآن الكريم يتفق مع التوراة والإنجيل في بعض المسائل، وبالأخص في قصص الأنبياء، وما يتعلق بالأمم الغابرة، غير أن القرآن الكريم اتخذ منهجاً يخالف منهج التوراة والإنجيل، فلم يتعرض لتفاصيل جزئيات المسائل، ولم يستوف القصة من جميع نواحيها، بل اقتصر من ذلك على موضع العبرة فقط.

ولما كانت العقول تميل إلى الاستيفاء والاستقصاء، جعل بعض السلف ﷺ يرجعون في استيفاء هذه القصص التي لم يتعرض لها القرآن من جميع نواحيها إلى مَن دخل في دينهم مِن أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، وغيرهم من علماء اليهود والنصارى.

وهذا بالضرورة كان بالنسبة إلى ما ليس عندهم فيه شيء عن رسول الله ﷺ، لأنه لو ثبت شيء في ذلك عنه ﷺ ما كانوا يعدلون عنه إلى غيره مهما كان المأخوذ عنه.

ورغم ذلك لم يكن رجوعهم إلى أهل الكتاب، مصدرًا ذا أهمية في التفسير، وإنما كان مصدرًا ضيِّقًا محدودًا على جهة الحكاية له، والاستشهاد، والاستئناس به فحسب؛ لأن التوراة والإنجيل وقع فيهما كثير من التحريف والتبديل، فكان السلف لا يأخذون عن أهل الكتاب إلا ما يتفق مع عقيدتهم ولا يتعارض مع القرآن. أما ما اتضح لهم كذبه مما

---

(١) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر للدكتور فهد الرومي (٢/ ٧٥٤)، والتفسير والمفسرون للدكتور محمد الذهبي (١/ ٤٨)

يُعارض القرآن، ويتنافى مع العقيدة فكانوا يرفضونه ولا يصدِّقونه، ووراء هذا وذاك ما هو مسكوت عنه، لا يُصدَّق ولا يُكذَّب، وخلاصة موقف السلف من الإسرائيليات ما ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى، وابن كثير في تفسيره وغيرُهما؛ وهو أن الأحاديث الإسرائيلية تُذكَر للاستشهاد لا للاعتقاد، وأنها على ثلاثة أقسام:

"أحدها" : ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذاك صحيح.

و"الثاني" : ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

و"الثالث" : ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته لما تقدم - لحديث: "وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" - وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، كأسماء أصحاب أهل الكهف، ولون كلبهم وعددهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت، وأنواع الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضُرِب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلّم الله عندها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه الله تعالى في القرآن من أخبار وقصص بني إسرائيل، ومعرفتها من المُلح التي لا طائل وراءها والله أعلم.

سابعا: التفسير بالاجتهاد والرأي:

التفسير بالاجتهاد، أو الرأي، أو الاستنباط، أو الفهم أو العقل، كلها مصطلحات تدل على مدلول واحد عند علماء علوم القرآن، وقد غلب مصطلح الرأي على هذه المصطلحات، والتفسير بالرأي قال به الصحابة والتابعون ومن بعدهم وعملوا به، ومنهم صدِّيق الأمة أبو بكر ﷺ الذي قال في الكلالة لما سئل عنها: «أقول فيها برأيي فإن كان صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان»

وهذا المصدر من أهم مصادر التفسير وأكثرها إعمالًا، ولو لم نُفَسِّرِ القرآن بالاجتهاد لفات معنى التدبر والتأمل في القرآن، والذي حثنا الله تعالى عليه في غير آية من كتابه

الكريم، ولفات كثير مما اشتمل عليه الكتاب الكريم من الأحكام والآداب، وأنواع المعارف والعلوم، التي لا يزال يظهر منها في كتاب الله كل يوم جديد.

وهذا الرأي الذي عمل به الصحابة هو الرأي المحمود المبني على علم أو غلبة ظن، فهو تفسير بالمقتضى من معنى الكلام، والمقتضب من قوة الشرع

وهذا هو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنه في قوله: ((اللَّهُمَّ فقهه في الدين وعلمه التأويل)).

والذي عَنَاه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله: ((أو فَهمًا يؤتاه الرجل في القرآن))، ورُوي عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: {يؤتي الحكمة من يشاء} قال: المعرفة بالقرآن ناسخَه ومنسوخَه ومحْكمَه ومتشابهَه ومقدَّمَه ومؤخَّرَه وحلالَه وحرامَه وأمثالَه.

قال الشيخ صالح آل الشيخ في شرح مقدمة أصول التفسير: التفسير بالاجتهاد والاستنباط لا بأس به إذا كان عند المفسر بالاجتهاد وبالاستنباط ملكة واكتملت فيه شروط الاجتهاد في التفسير.

قلت: ومِن صور تفسيرهم بالاجتهاد والرأي: تفسيرهم القرآن بالقرآن بأنواعه، وبيان الناسخ والمنسوخ، واستنباط الأحكام والآداب والفوائد وغير ذلك، وما أكثرها في كتب المفسرين رحمهم الله.

أما الرأي المذموم فهو الذي وقع عليه نهي السلف، وشنعوا على صاحبه، وهو ما كان مبنيًا على جهل أو هوى.[1]

(١) انظر: فصول في أصول التفسير للشيخ مساعد الطيار (ص ٦٥)

فـائـدة:

قال السيوطي في الإتقان: وقال ابن النقيب جُملة ما تَحصَّل في معنى حديث التفسير بالرأي خمسة أقوال: أحدها: التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير.

الثاني: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

الثالث: التفسير المقرِّر للمذهب الفاسد، بأن يُجعل المذهب أصلًا والتفسير تابعًا فيُرد إليه بأي طريق أمكن وإن كان ضعيفًا.

الرابع: التفسير بأن مراد الله كذا على القطع من غير دليل.

الخامس: التفسير بالاستحسان والهوى.

- ثم قال: واعلم أن علوم القرآن ثلاثة أقسام:

الأول: عِلم لم يُطْلِع الله عليه أحدا من خلقه؛ وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه من معرفة كنه ذاته وغيوبه التي لا يعلمها إلا هو، وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه بوجه من الوجوه إجماعا.

الثاني: ما أَطْلَع الله عليه نبيه من أسرار الكتاب واختصه به، وهذا لا يجوز الكلام فيه إلا له صلى الله عليه وسلم أو لمن أذن له.

قال [ابن النقيب]: وأوائل السور من هذا القسم، وقيل: من القسم الأول.

الثالث: علوم علمها الله نبيه مما أودع كتابه من المعاني الجلية والخفية وأمره بتعليمها؛ وهذا ينقسم إلى قسمين:

١- منه ما لا يجوز الكلام فيه إلا بطريق السمع وهو أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراءات واللغات وقصص الأمم الماضية وأخبار ما هو كائن من الحوادث وأمور الحشر والمعاد.

٢- ومنه ما يؤخذ بطريق النظر والاستدلال والاستنباط والاستخراج من الألفاظ؛ وهو قسمان:

قسم اختلفوا في جوازه وهو: تأويل الآيات المتشابهات في الصفات.

وقسم اتفقوا عليه وهو: استنباط الأحكام الأصلية والفرعية والإعرابية لأن مبناها على الأقيسة، وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحِكم والإشارات لا يمتنع استنباطها منه واستخراجها لمن له أهلية. انتهى ملخَّصًا

مسودة

الفصل السادس

أقســـام التفسيـــر[1]:

للتفسير عِدة أقسام باعتبارات مختلفة، وتحتَ كلِّ قِسْمٍ أنواع على ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى:

أولاً: أقسام التفسير باعتبار معرفة الناس له [2]:

١ - وجه تعرفه العرب من كلامها.

٢ - وتفسير لا يعذر أحد بجهله.

٣ - وتفسير يعلمه العلماء.

٤ - وتفسير لا يعلمه إلا الله، ومن ادعى علمه فقد كذب.

قال العلامة الزركشي في البرهان: وهذا تقسيم صحيح وأخذ في شرحها رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، وهنا نذكر تفصيل هذه الأوجه وحكم كل واحد منها باختصار:

الوجه الأول: ما تعرفه العرب من كلامها:

يشمل هذا القسم ألفاظ القرآن، وأساليبه في الخطاب، وذلك لأنه نزل بلغتهم وعلى طرائقهم في الكلام.

---

(١) انظر: فصول في أصول التفسير للشيخ مساعد الطيار (ص ٢٨ وما بعدها) بتصرف.

(٢) وهذا تقسيم ترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما رواه عنه عبدالرزاق في مصنفه، وابن جرير بسند منقطع، ورواه الطبراني في مسند الشاميين (١٢٨٥)، والفريابي في القدر (٤١٤) بسند صحيح.

وهذه الألفاظ والأساليب معلومةٌ لديهم غير خافية، وإن كان قد يخفى على أفراد منهم شيء منها، وذلك لغرابتها على مسمعه، أو لعدم اعتياده عليها في لغة قومه، كما خفي على ابن عباس بعض معاني مفرداته؛ كلفظ «فاطر»، وغيرها.

ولذا تجد في تفاسير السلف تفسيرهم اللغوي لمعنى الصمد، والكفؤ، والفلق، والغاسق ... إلخ.

والأساليب لمَّا كانت على سَنَنِهم في الكلام لم يَخْفَ عليهم المراد بها، فيعلمون من قوله تعالى: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} [الدخان: ٤٩]، أن هذا الخطاب خطاب امتهان وتهكم، وإن كانت ألفاظه مما يُستعمل في المدح، وذلك لأن السياق يدل على معنى الامتهان.

- حكمه: وهذا الوجه من فروض الكفاية، إذ لا يجب على كل مسلم معرفة جميع المعاني اللغوية والأساليب الكلامية الواردة في القرآن، وقد يرتقي إلى الواجب إذا توقف عمل الواجب على هذه المعرفة.

الوجه الثاني: ما لا يعذر أحد بجهله:

وهذا يشمل الأمر بالفرائض، والنهي عن المحارم، وأصولَ الأخلاق والعقائد. فقوله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [البقرة: ١١٠]، وقوله: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً} [آل عمران: ٩٧]، وقوله: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ} [البقرة: ١٨٣] لا يعذر أحد بجهل مثل هذه الخطابات ودلالتها وما تقتضيه وهو يقرأ القرآن.

وكذا يدخل فيه ما جاء من أمر بالصدق والأمانة والنهي عن الكذب والخيانة، وعن إتيان الفواحش، وغير هذه من الأوامر والنواهي المتعلقة بالأخلاق.

ويدخل فيه ما يتعلق بالعقائد؛ كقوله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ} [محمد: ١٩]، وقوله: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥]، وغيرِها من الأوامر والنواهي المتعلقة بالتوحيد.

- حكمه: هذه كلها داخلة ضمن الواجب الذي يجب على المسلم تعلمه من التفسير، لوجوب العمل بمقتضاها وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[١].

الوجه الثالث: ما تعْلَمُه العلماء:

ومما يشمله هذا القسم، ما يُستنبط منه من فوائد وأحكام، ومعرفة ناسخه ومنسوخه، ودفع ما يُتوهم التعارض فيه، وما قد يُشكل على العامة معرفته أو فهمه، كقوله تعالى: (فلما آتاهما صالحًا جعلا له شركاء فيما آتاهما)، وقوله: (ولقد همت به وهم بها).

- حكمه: وهذا القسم من فروض الكفاية.

الوجه الرابع: ما لا يعلمه إلا الله، ومن ادعى عِلْمَه فقد كذب:

وهذا يشمل حقائق المغيبات، ووقتَ وقوعها، فالدابة التي تخرج في آخر الزمان لا يَعلم كيفها وحقيقتها إلا الله، ولا يعلم وقت خروجها إلا الله، وهكذا سائر الغيبيات.

---

(١) وإذا حصل إعمال هذه التكاليف على وجهها إما بطريق التقليد أو التلقي عن الغير دون دراستها فقد تحقق المقصود ولا يجب عليه تعلم تفسيرها عندئذ والعلم عند الله.

وهذا النوع لا يدخل فيه معاني المفردات والآيات؛ لأن معاني ألفاظ القرآن الكريم معلوم للمخاطبين بالجُملة، باستثناء الحروف المقطعة في أوائل بعض السور فقد استأثر الله بعلمها على الصحيح واختُلِف في مغزاها على أقوال.

- حكمه: وهذا النوع غيرُ واجب على أحد، بل من تجشم تفسيره فقد أثِمَ وكذب على الله، وادعى علمًا لا يعلمه إلا الله تعالى.

ثانيًا: أقسام التفسير باعتبار طريق الوصول إليه: وهذا القسم يُعدُّ أهمَّ الأقسام وأشهرَها، حتى ذهب بعض أهل العلم إلى حصر أقسام التفسير فيها، وينقسم التفسير بهذا الاعتبار إلى قسمين:

الأول: تفسير بالرواية وطريق الوصول إليه الأثر، ويسمى التفسير بالمأثور.

ويشمل التفسير بأقوال النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم والتابعين، ومن أشهر كتب التفسير بالمأثور:

١ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠)

٢ - معالم التنزيل: لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦)

٣ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤١)

٤ - تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤)

٥ - الدر المنثور في التفسير المأثور: لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١).

٦- موسوعة التفسير بالمأثور لجماعة من أهل العلم بإشراف الشيخ المفسر مساعد الطيار وفقه الله، وهو أجمع كتب التفسير بالمأثور وأوسعُها.

الثاني: تفسير بالدراية وطريق الوصول إليه الاجتهاد، ويسمى التفسير بالرأي.

ويرجع التفسير بالرأي والاجتهاد إلى اعتماد الأدوات التي يحتاج إليها المفسِّر من علوم العربية والأصول وعلوم القرآن ، وهذا الرأي الذي عمل به الصحابة هو الرأي المحمود المبني على علم أو غلبة ظن، وكان موافقا لقصد المشرع الحكيم، بعيدا عن كل ضلالة وجهالة مُتمشِّيا مع قواعد اللغة العربية متفهما لأساليبها في عرض الآيات القرآنية خاليا من الهوى والسمعة، أما الرأي المذموم فهو الذي وقع عليه نهي السلف، وشنعوا على صاحبه، وهو ما كان مبنيًا على جهل أو هوى، كحمل كلام الله تعالى على معنى لا يليق به، أو يخوض في ما استأثر الله تعالى بعلمه وما شابه ذلك. ومِن أشهر كتب التفسير بالرأي[1]:

١ - مفاتيح الغيب: لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت ٦٠٦)

٢ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لأبي سعيد عبدالله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥)

٣ - لُباب التأويل في معاني التنزيل: لأبي الحسن علي بن محمد الخازن (ت ٧٤١)

٤ - البحر المحيط: لأبي حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت ٧٤٥)

---

(١) ولا يُفهم من هذا التقسيم أنَّ كتب التفسير بالمأثور خاليةٌ من التفسير بالرأي، أو أن كتب التفسير بالرأي خالية مِن التفسير بالمأثور فهذا ليس حاصلًا، بل قد جمعت كُتب التفسير بين هذا وذاك وإنما التصنيف لها هنا بحسب الغالب فيها، وهناك كُتُبٌ جمعت بين الدراية والرواية ومِن أشهرها تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير للعلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

٥ - تفسير الجلالين: للجلال الدين محمد بن أحمد المحلى (ت ٨٦٤)، وجلال الدين السيوطي (ت ٩١١).

٦ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لأبي الفضل محمود بن عبدالله الألوسي (ت ١٢٧٠)

ثالثًا: أقسام التفسير باعتبار أساليبه أو باعتبار مناهج المفسرين - وهذا من باب التقسيم الفَنِّي - :

وينقسم بهذا الاعتبار إلى أربعة أقسام:

١ - التفسير التحليلي.

٢ - التفسير الإجمالي.

٣ - التفسير المقارن أو الموازن.

٤ - التفسير الموضوعي.

وهذه التقسيمات المذكورة لا يعني أن كل تفسير قد اقتصر على أحدها فقط، بل تجدُ في بعض التفاسير معظم هذه الأقسام، ولكن الحُكم على التفسير بأحدها حُكْمٌ أغلبي؛ فتفسير ابن جرير مثلا اشتمل على التحليل في مواضع والإجمال في مواضع والمقارنة في مواضع وهكذا غيره من مطولات كُتب التفسير.

وإليك بيان هذه الأقسام على وجه الاختصار:

أولاً: التفسير التحليلي:

هذا القسم هو الغالب على أكثر كتب التفسير، فيعْمِد المفسر بهذا الأسلوب إلى التحليل للآية، فيبين سبب نزولها، وغريب ألفاظها، وإعراب مشكلها، وبيان مجملها ... إلخ، ومن أمثلته: تفسير القرطبي وابن عطية وابن كثير وغيرهم مع تفاوتهم في ذلك، وتفاوت ذلك من موضع لآخر.

ثانياً: التفسير الإجمالي:

يعمد المفسر بهذا الأسلوب إلى بيان المعنى العام للآية، دون التعرض للتفاصيل؛ كالإعراب واللغة والأحكام والفوائد وغيرها.

ومن أمثلته: تفسير المراغي، تفسير السعدي، وأيسر التفاسير أبي بكر الجزائري، وزبدة التفسير وغيرها.

ثالثًا: التفسير المقارن :

يعمد المفسر بهذا الأسلوب إلى قولين في التفسير أو أكثر، ويقارن بينها مع ترجيح ما يراه راجحًا . ومن أمثلته: تفسير ابن جرير الطبري، والقرطبي وابن جزي وغيرها مما يُذكَر فيها أقوال المفسرين ويُرجَّح بعضها على بعض.

رابعًا: التفسير الموضوعي: أقسام التفسير الموضوعي:

وهو نوع حديث عند المفسرين يقصد المفسر به موضوعا بعينه في القرآن الكريم فيتناول آياته بالتفسير واستنباط الدلالات والفوائد وما أشبه ذلك وله ثلاث صور مشهورة:

١- التفسير الموضوعي لمصطلح في القرآن الكريم: وصورته أن يختار الباحث لفظة أو مصطلحًا تتكرر في القرآن كثيرًا، فيتتبعها في القرآن الكريم ويأتي بمشتقاتها ويستخرج منها الدلالات واللطائف، كلفظة المحصنات أو الأُمة أو الفرقان وما غير ذلك

٢- التفسير الموضوعي لموضوع خاص في القرآن الكريم: وصورته أن يختار الباحث موضوعًا من القرآن، له أبعاده الواقعية في الحياة أو العلم أو السلوك، مما يحتاج إليه المجتمع الإسلامي، ويُشكّل منه موضوعا مُعينا، يخرج بخلاصة تساعد على حل مشاكل المسلمين ومعالجة أمورهم كتناول أحكام الصيام أو الإنفاق أو العشرة الزوجية أو آداب الاستئذان أو الحِجاب وغير ذلك.

٣- التفسير الموضوعي لسورة من القرآن الكريم: وصورته أن يختار الباحث سورة من القرآن، تكون مدار بحثه ويخرج منها بدراسة موضوعية متكاملة كسورة الكهف أو سورة يوسف أو أحد قصار المفصل.

رابعًا: أقسام التفسير باعتبار طريقة تفسير مُفرداتِه:

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ، وهو الذي ينحو إليه المتأخرون، وتفسير على المعنى، وهو الذي يذكره السلف، وتفسير على الإشارة والقياس، وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم»[1].

قلت: وهذه الثلاثة الأصول تتفرع منها أنواع على ما سنبينه إن شاء الله.

أولًا: التفسير للَّفظ:

وهو تفسير الكلمة بالنظر إلى ما وضعت له حقيقة، إما في اللغة أو الشَّرع أو العُرف وإليك بيان هذه الثلاثة الأنواع:

١- التفسير بالمعنى اللغوي، كتفسير الصلاة في قوله تعالى: {وصَلِّ عليهم} بمعناها في اللغة أي: ادع لهم، وتفسير قوله: {إنَّ شانئك} أي: مبغضك، وقوله: {مُؤصدة} أي: مُطبَقة ومُغْلَقة وهذا تفسير لها بالمعنى اللغوي، وقد يتوسعون في تحليل المدلولات اللفظية؛ كأصل الاشتقاق، ومعانيها في اللغة ... إلخ.

٢- التفسير بالمعنى الشرعي، كتفسير الصلاة في قوله تعالى: {وأقم الصلاة} بالعبادة ذات الركوع والسجود، وتفسير الساعة بالقيامة في قوله تعالى: {يسألك الناس عن الساعة}.

٣- التفسير بالمعنى العُرفي، كتفسير الدابة في قوله تعالى: {أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم} بالدابة ذات الأربعِ القوائم، وليس كُلَّ ما يدب على الأرض.

---

(١) التفسير القيم لابن القيم (ص٣٥)

ثانيًا: التفسير بالمعنى:

وهو تفسير الكلمة بمعنى يتعلق بما وضِعتْ له في الحقيقة؛ لكون هذا المعنى الآخر هو المقصود، لا ما وضِعت له الكلمة حقيقةً وهو أنواع:

الأول: التفسير بجزء معناها، نحو قوله تعالى: {وجعلني مباركًا} قال ابن القيم: مُعَلِّمًا للخير، وقوله: {إنَّا أعطيناك الكوثر} أي: نهر في الجنة.

الثاني: التفسير لجزء المعنى بِكُلِّه، نحو قوله: {وهو قائم يصلي في المحراب} أي في المصلى، وقوله: {واركعوا مع الراكعين} أي: صَلُّوا مع المُصَلِّين.

الثالث: التفسير بالمثال كتفسير قوله تعالى: {إن الحسنات يذهبن السيئات}، قيل: الحسنات الصلوات، وقيل: قول الرجل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وقيل غير ذلك.

قال ابن عطية: وهذا كله إنما هو على جهة المثال في الحسنات.

وفي تفسير قوله تعالى: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} قال زِرٌّ بن حُبيش: الغيب: القرآن، وقال عطاء: الغيب: القدر.

قال الراغب: وقول زرٍّ بأن الغيب: هو القرآن، وقول عطاء: أنه القدر؛ تمثيل لبعض ما هو غيب، وليس ذلك بخلاف بينهم، بل كُلٌّ أشار إلى الغيب بمثال.

الرابع: التفسير باللازم: وهو أحد دلالات الألفاظ العقلية.

والمراد به أن المعنى المستفاد لم يدل عليه اللفظ مباشرة، ولكن يلزم منه هذا المعنى المستفاد عقلاً أو عُرفًا؛ كالكتابة تستلزم كاتِبًا. ومنه تفسير: { الودود } بـ: المحبوب من أوليائه، فالودود: أي الواد لأوليائه؛ كالغفور بمعنى: الغافر. فهذا تفسير بالمطابقة، ويلزم منه محبة أوليائه له، وهذا التفسير باللازم.

الخامس: التفسير بالنتيجة ويُدْخِلُه بعضهم ضمن التفسير باللازم، ومن أمثلته: تفسيرهم قوله تعالى: {فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ} [الواقعة: ٦٥] قال الحسن: تندمون، وهذا تفسير بالنتيجة، فحقيقة المعنى تُزيلون عنكم التفكُّه وهي المَسَرَّة، فإن زال التفكّه خَلَفَهُ ضِدُّه وهو الندم.

ومنه قوله تعالى: {يلقون غيًا} أي: عذابًا نتيجة غيهم ، ومثله قوله تعالى: {يلق أثامًا} أي: عذابا نتيجة إثمه.

السادس: التفسير بالسَّبَب، ومنه تفسير قوله تعالى: {والرُّجْزَ فاهجر}[1] أي: الأصنام؛ لأنها سبب للرِّجز وهو العذاب.

الثالث: التفسير بالإشارة والقياس:

وهذا النوع هو أقل الأنواع عند سلف الأمة، ولم يُكْثِروا منه، ويُسمَّى بالتفسير الإشاري ويجعله بعضهم قَسِيمًا للتفسير بالمأثور والرأي، ومن أمثلة التفسير بالإشارة؛ تفسير ابن عباس وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم سورة النصر بقرب أجل رسول الله ﷺ قال ابن حجر مُعَلِّقًا على تفسيرهم: «وفيه جواز تأويل القرآن بما يُفهَمُ من الإشارات، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم، ولهذا قال علي رضي الله عنه : أو فَهْمًا يؤتيه الله رجلاً بالقرآن»[2] .

- ولهذا النوع مِن التفسير شروط ذكرها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، وهي:

١ - ألا يُناقض معنى الآية.

٢ - أن يكون معنىً صحيحًا في نفسه.

---

(١) قُرِئت الرجز بضم الراء وكسرها، والكسر قراءة الجمهور.

(٢) فتح الباري (٨ / ٦٠٨ – ٦٠٩).

٣ - أن يكون في اللفظ إشعار به.

٤ - أن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم.

فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطًا حسنًا.[١]

ومن أمثلة التفسير بالقياس: ما رُوي عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: {لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى} قال: نائمين. قياسًا على السُّكْر في زوال العقل في كُلٍّ منهما.

خامسًا: أقسام التفسير باعتبار اتجاهات المفسرين:

والمراد بالاتجاه: الوجهة التي قصدها المفسر في تفسيره وغلبت عليه، أو كانت بارزة في تفسيره، بحيث يتميز بها عن غيره.

- والاتجاهات في التفسير لها اعتبارات، وأشهرها اعتباران العَقَدي والعِلْمي:

١- بالنظر إلى المذهب العقدي للمفسر، ومنه:

- الاتجاه السلفي، كتفسير ابن جرير وابن كثير والشنقيطي وغيرهم.
- والاتجاه الأشعري، كتفسير الفخر الرازي "مفاتيح الغيب".
- والاتجاه المعتزلي، كتفسير الزمخشري "الكشاف".
- الاتجاه الصوفي، كتفسير أبي عبدالرحمن السُّلمي الرازي "حقائق التفسير"

---

(١) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم (ص ٧٩)

٢- بالنظر إلى العِلم الغالب على التفسير، ومنه:

• الاتجاه اللغوي، ككتاب «معاني القرآن» للفراء، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة.

• والاتجاه النحوي، كتفسير «البحر المحيط» لأبي حيان، و«الدر المصون» للسَّمين الحلبي.

• والاتجاه البلاغي، كتفسير «الكشاف» للزمخشري، و«التحرير والتنوير» لابن عاشور.

• والاتجاه الحديثي، كتفسير ابن جرير الطبري، وابن أبي حاتم، والبغوي.

• والاتجاه الفقهي، كتفسير الجامع لأحكام القرآن الكريم لأبي عبدالله القرطبي، وأحكام القرآن لابن العربي المالكي.

• والاتجاه الأخباري، كتفسير الثَّعلبي حيث غلب على تفسيره إيرادُ القَصص والإِخبارُ عمن سلف واستيفاؤها، وسواءٌ كانت صحيحة أو باطلة.

الفصل السابع

أنواع الاختلاف في التفسير وأسبابه

وجود الاختلاف من طبائع البشر التي لا تنفك عنهم، وهو مِن قَدَرِ الله فيهم، ففي ألسنتهم اختلاف، وفي وألوانهم، وعقائدهم، وأفكارهم ... إلخ.

وقد وقع الاختلاف في التفسير كما وقع في الأحكام، ولهذا الاختلافِ أسبابٌ أوجبته، وعِللٌ أوجدته، والخلاف المروي عن المفسرين جُلُّه هو من خلاف التنوع، لا من خلاف التَّضادِّ، كما نصَّ عليه الإمام سفيان الثوري، وابن قتيبة في "تأويل مشكل القرآن" والشاطبي في "الموافقات"، وابن تيمية في المقدمة وغيرُهم.

والاختلاف في النص إذا كان معلومًا للمجتهدين يرجع إلى أحد ثلاثة أمور:

الأول: اختلاف أفهام المجتهدين.

الثاني: أن يكون النَّصُ محتمِلاً لأكثر من معنى.

الثالث: اختلافهم في مُسْتَنَدِ التفسير، مِن حيث صحته مِن عدمه، ومِن حيث قبوله كمصدر للتفسير مِن عدمه.

والاختلاف في التفسير إما أن يكون اختلافَ تنوع أو تضاد وله ثلاثة أقسام:

الأول: اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعنى، وهذا ليس في الحقيقة بخلاف؛ لاتفاق معناه، فهو من اختلاف تنوع، كتفسير {إنها عليهم مؤصدة} قالوا: مُطْبقة، وقيل: مُغْلقة، وتفسير {يوم تمور السماء} قالوا: تتحرك، وقيل: تضطرب، وقيل: تموج، وقيل

تدور، وكلها بمعنى، ويمكن المُفسر أن يختار أحدها، والأولى أن يختار الأوضح معنى والأدل للعبارة.

الثاني: اختلاف في التمثيل؛ لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد وليس مثالٌ منها على خصوصه هو المراد، وإنما المراد هو المعنى العام التي تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه، وهذا ليس في الحقيقة بخلاف؛ لأن كل قول منها مثال للمراد وليس بكل المراد، كتفسير العمل الصالح بالصلاة، وتلاوة القرآن، والذِّكر وغيره في قوله تعالى: {وعملوا الصالحات}. وللمفسر أن يأخذ بأحدها إلا أن يظهر من بعض القرائن أن المراد مثالا بذاته فالأولى القول به.

الثالث: اختلاف في العبارة والمعنى، وهذا القِسْم له صورتان:

أ- أن يكون مؤدَّى العِبارات واحد يمكن الجمع بينها، أو لاحتمال الآية العبارتين معا لكونها من المشترك اللفظي، فهذا يلحق باختلاف التنوع، كتفسير: {تُبسل} بقولهم: تُحبس أو ترتهن، والمحبوس قد يكون مرتهنا، وتفسيرهم قوله: {فَرَّت من قَسْورة} بقولهم: الرامي أو الأسد أو النَّبْل، فهذا من المشترك اللفظي لأن كلًا مما ذُكر يُطلق عليه قسورة، وكقوله تعالى: {لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً} [التوبة: ١٠].

فقد ورد عنهم في الإِلِّ أقوال: الأول: العهد، الثاني: القرابة، الثالث: الله سبحانه وتعالى.

وفي هذا النوع ينبغي للمفسر أن يحمل الآية على جميع المعاني إن كانت كلُّها صحيحة وأمكن الجمع ولا تعارض بينها ولا مرجح لأحدها على الآخر، فإن ترجح أحدها لزم الحمل عليه. وقد قال ابن جرير الطبري ـ معلقًا على هذه الأقوال في تفسير الإل ـ: إذا

كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة، ولم يكن الله خصَّ من ذلك معنى دون معنى، فالصواب أن يعم ذلك كما عمَّ بها جلَّ ثناؤه معانيها الثلاثة[1].

وقال أبو العباس ابن تيمية في المقدمة: وجمع عبارات السلف في مثل هذا نافع جدا، فإن مجموع عباراتهم أدل على المقصود من عبارة أو عبارتين[2].

ب- أن يوجد تعارض في معنى العبارات بحيث لا يمكن الجمع بينها، فهذا من اختلاف التضاد، كاختلافهم في تفسير قوله تعلى: {ثلاثة قُرُوء} قيل: حِيَض، وقيل: أطهار، فهنا لا يُمكن حَملُ الكلمة على المعنيين معا لاختلافهما.

وتفسيرهم قوله تعالى {أو لامستم النساء} فقيل: اللَّمس للبشرة، وقيل: الجِماع، وتفسيرهم قوله: {إلى لربها ناظرة} فقيل: منتظرة! وقيل: تنظر إليه (وهو الصحيح). وهذا النوع مِن الاختلاف قليل جدا ويَرجِع فيه المُفَسِّر إلى قواعد الترجيح ليختار أحد الأقوال، مراعيا الأفصح لغة، والأدل عبارة، والأوفق للسياق.

(١) «تفسير الطبري» (١٠/ ٨٥).

(٢) مقدمة في أصول التفسير (ص١٩).

الفصل الثامن

شـــروط المفســـر

أ- الإسلام، فلا يُقبَل التفسير من مُلْحِد أو مُستشرق أو فيلسوف وغيرهم.

ب- اتباع مذهب السلف الصالح ﷺ لأن صاحب البدعة يُلبِّس على الناس مقصودَ الله تعالى ليحملهم على اعتقاد بدعته[1].

ت- أن يُقدم اعتماد المأثور، فلا يجوز إعمال عقله، وتركُ المأثور.

ث- أن تكون له آلةُ المفسِّر؛ وهي العلوم التي لا يَحسُن بالمفسر جهلُها وأهم هذه العلوم هي[2]:

١ - علم اللغة؛ لأن بها يمكنه معرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها، بحسب الوضع العربي.

٢ – النحو؛ لأن المعنى قد يختلف باختلاف الإعراب، كقوله تعالى: (وإذا ابتلى إبراهيمَ ربُّهُ بكلماتٍ) فإن إبراهيم مفعول به مقدم وليس فاعلا، ولو أُعرِب فاعلا لتغير المعنى.

٣ - التصريف، لأن به تُعرف الأبنية والصّيغ ودلالاتها، فكلمة (خنَّاس) مثلا على وزن فعَّال، وهي أعظم صيغ المبالغة، فتدل على شدة خنوس إبليس وضعفه إذا ذُكر الله تعالى.

---

(١) قال ابن تيمية في مقدمة أصول التفسير: وفي الجملة من عَدَل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئا في ذلك، بل مبتدعا، وإن كان مجتهدا مغفورا له خطؤه، فالمقصود بيان طرق العلم وأدلته، وطرق الصواب، ونحن نعلم أن القرآن قَرأهُ الصحابة والتابعون وتابعوهم، وأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ، فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعا.

(٢) انظر الإتقان (٢/ ٤٦٤ - ٤٦٦).

٤ - الاشتقاق، لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما، كالمسيح، هل هو من السياحة أم من المسح؟ وبه عُرف أن إمام مشتق من أمَّ لا من أُمْ كما في قوله تعالى: (يوم ندعو كلَّ أناس بإمامهم)

٥، ٦، ٧ - علوم البلاغة الثلاثة، «المعاني والبيان والبديع» لأنه يعرف بالأول خواصُ تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وبالثاني خواصُها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها، وبالثالث وجوه تحسين الكلام، ولأن إعجاز القرآن البلاغي لا يدرك إلا بهذه العلوم.

٨ - علم القراءات، لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن، ويترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض، وبعض القراءات توضح المعنى، كقوله: ((وأنهم مفرطون)) بإسكان الفاء مع فتح الراء وكسرها أي مُعجَّلون ومسْرِفون، وفتح الفاء مع كسر الراء وتشديدها أي مُقصِّرون.

٩ - علم العقيدة، ليعلم ما يجب لله تعالى وما يستحيل عليه، وما يجوز في حقه، وما لا يجوز، وكذلك بالنسبة للأنبياء، ما يجب لهم، وما يستحيل عليهم وما يجوز في حقهم وما لا يجوز وهكذا.

١١ - أصول التفسير وقواعده، وهي أكثر علوم الآلة تعلقًا بالتفسير، وعن طريقها يكون أكثر تفهمًا لطرق التفسير وأسباب الاختلاف والترجيح بين الأقوال... إلخ.

١٢- أسباب النزول، لأن بعض الآيات لا يمكن فهمها إلا بمعرفة سبب نزولها.

١٣ - الناسخ والمنسوخ، ليعلم المُحكم من غيره.

١٤- علوم القرآن، ولا غِنى للمفسر عنها؛ فجُلُّ مادة التفسير مُستقاة من علوم القرآن. قال ابن أبي الدنيا: وعلوم القرآن وما يستنبط منه بحر لا ساحل له قال فهذه العلوم التي هي كالآية للمفسر لا يكون مفسرا إلا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسرا بالرأي المنهى عنه وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسرا بالرأي المنهى عنه.

قلت: والمفسرون مراتبٌ ودرجات فأجمعهم لهذه العلوم أكملهم دراية، وهذه العلوم وإن كان المفسِّرُ بحاجةٍ إليها جميعا، غير أنَّ بعضها أكثرُ حاجة من غيرها؛ لتعلقها بأصل عمل المُفسِّر؛ وهو بيان معاني مفردات القرآن الكريم وآياته.

الفصل التاسع

آداب المفسّـــر

قال الزركشي في البرهان: اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعه أو كبر أو هوى أو حب الدنيا أو وهو مصر على ذنب أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجع إلى معقوله وهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض.

وهنا نذكر بعض الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المفسر لكلام الله سبحانه وتعالى:

١ - سلامة المقصد، بأن يبتغى بتفسيره وجه اللهِ تعالى دون سمعة أو رياء[١].

٢ - حُسن الديانة والخُلق.

٣ - الورع والتقوى.

٤ - تحرى الصدق والضبط في النقل.

٧ - بيان الحق، وعدم كتمه.

٨ - التروي والأناة في التفسير.

٩ - حُسْنُ الإعداد في الكتابة في التفسير أو وفي طريقة الإلقاء حال الإقراء.

---

(١) قال السيوطي في الإتقان: ومن شرطه صحة المقصد فيما يقول ليلقى التسديد فقد قال تعالى: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا} وإنما يخلص له القصد إذا زهد في الدنيا لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به إلى عرض يصده عن صواب قصده ويفسد عليه صحة عمله.

الفصل العاشر

ما ينبغي للمُفسِّر مُراعاته في التفسير

قال السيوطي في الإتقان: قال العلماء يجب على المفسر أن يتحرى في التفسير مطابقة المفسَّر، وأن يتحرز في ذلك من نقص عما يُحتاج إليه في إيضاح المعنى أو زيادة لا تليق بالغرض، ومن كون المفسِّر فيه زيغ عن المعنى وعدول عن طريقه، وعليه بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي، ومراعاة التأليف والغرض الذي سبق الكلام، وأن يؤاخي بين المفردات، ويجب عليه البداءة بالعلوم اللفظية، وأول ما يجب البداءة به منها: تحقيق الألفاظ المفردة؛ فيتكلم عليها من جهة اللغة، ثم التصريف، ثم الإشتقاق، ثم يتكلم عليها بحسب التركيب؛ فيبدأ بالإعراب، ثم بما يتعلق بالمعاني، ثم البيان، ثم البديع، ثم يبين المعنى المراد، ثم الاستنباط، ثم الإشارات[1].

وقال الزركشي في البرهان: واعلم أنه جرت عادة المفسرين أن يبدؤوا بذِكر سبب النزول ووقَعَ البحث أيما أولى البداءة به؛ بتقدم السبب على المسبب، أو بالمناسبة لأنها المصحِّحة لنظم الكلام وهى سابقة على النزول؛ والتحقيق التفصيل بين أن يكون وجه المناسبة متوقفا على سبب النزول كالآية السابقة في إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها فهذا ينبغي فيه تقديم ذكر السبب لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد وإن لم يتوقف على ذلك فالأولى تقديم وجه المناسبة[2].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٤٧٥)

(٢) البرهان في علوم القرآن (ص ٣٤)

الفصل الحادي عشر

أشهـــر المفســـرين

إذا أُطلق المشهورون من المفسرين فالمراد بهم من اشتُهر بتفسير القرآن الكريم من السلف الصالح؛ إذ مَن بعدهم عالةٌ عليهم، وهم بالجملة ثلاث طبقات:

فالطبقة الأولى: الصحابة ﷺ ، وأكثرهم كلاما في التفسير ابن عباس، وكان علي بن أبي طالب يُثني على تفسير ابن عباس، ويقول: كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق. وقال ابن مسعود: نِعمَ تُرجمان القرآن ابن عباس، ثم علي بن أبي طالب، قال ابن عباس: ما عندي من تفسير القرآن فهو عن عليّ بن أبي طالب، ثم عبد الله بن مسعود، ثم أبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت وآخرين.

والطبقة الثانية: التابعون رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ ، وأحسنهم كلاما في التفسير مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير والحسن البصري، وعلقمة، وعكرمة. وقتادة. والسُّدي. والضحاك بن مُزاحم، وأبو العالية، وعطاء، وابن زيد.

والطبقة الثالثة: وهم أتباع التابعين ومن بعدهم. وهذه الطبقة أُلِّفَت فيها تفاسيرُ تجمعُ أقوال الصحابة والتابعين؛ كتفسير سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، وشعبة بن الحجاج، ويزيد بن هارون، وعبد الرزاق الصنعاني، وآدم بن أبي إياس، وإسحاق بن راهويه، وروح بن عبادة، وعبد بن حميد وأبي بكر بن أبي شيبة وآخَرِين.

وبعدهم أبو جعفر محمد بن جرير الطبري وكتابه أجل التفاسير وأعظمها، ثم ابن أبي حاتم، وابن ماجه، وأبو عبدالله الحاكم، وابن مردويه، وابن المنذر في آخَرِين وكلها مسندة إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم، وصارت هذه التفاسير عمدة لمن ألف في التفسير بعدهم وبالأخص تفسير ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فمعظم التفاسير بعده عالة عليه.

مسودة

الفصل الثاني عشر

أفضــل كتــب التفاسيــر

اختلفت أراء العلماء في التفضيل بين كُتب التفسير، وتقديمِ بعضها على بعض؛ وكُلٌّ بحسب معرفته، واطلاعه، وميله، واتجاهه، وكذلك من حيث اختصاص التفسير وتميزه على غيره من نَواحٍ؛ فلكل تفسير ميزةٌ تميزه عن غيره كما هو معلوم، ونكتفي هنا بذكر بعض أجلِّ كُتب التفسير التي تلقاها العلماء بالقبول، واشتغلوا بها، وأثنوا عليها، وأوصَّوا بها، في معظم الأمصار وعلى مَرِّ الأعصار، ومنها:

أولًا: تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)

قال السيوطي في الإتقان: فإن قلت فأي التفاسير ترشد إليه وتأمر الناظر أن يعول عليه؟ قلتُ: تفسير الإمام أبي جعفر بن جرير الطبري الذي أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يؤلف في التفسير مثله، قال النووي في تهذيبه: كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحد مثله.

وقال ابن تيمية في المقدمة: «وأمّا التّفاسير الّتي في أيدي النّاس فأصحّها تفسير محمّد بن جرير الطّبريّ، فإنّه يذكر مقالات السّلف بالأسانيد الثّابتة، وليس فيه بدعة، ولا ينقل عن المتّهمين، كمقاتل والكلبيّ»،

قلت: وقد تميز الكتاب بنقل آثار السلف مسندة إليهم في معظم الآيات والمفردات، مع عنايته بحكاية الإجماع والتوسع في ذِكْر الخلاف مع الترجيح للأقوال.

ثانيًا: معالم التنزيل: لأبي محمد الحسين البغوي (ت ٥١٦هـ) قال الخازن في مقدمة تفسيره مادحا تفسير البغوي: «من أجلّ المصنفات في علم التفسير وأعلاها، وأنبلها وأسناها، جامعا للصحيح من الأقاويل عاريا عن الشّبه والتصحيف والتبديل»

وقال ابن تيمية في المقدمة: والبغوي تفسيره مختصر من الثعلبي، لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة.

قلت: يسلك البغوي في تفسيره السبيل القويم في بيان المعاني فيفسر القرآن بالقرآن أو بالحديث أو بأقوال الصحابة، ويستأنس بأقوال التابعين والمجتهدين من المفسرين، ويتعرض قليلا للقراءات والفقهيات، وينصر مذهب السلف في مسائل الاعتقاد وقد عِيب عليه أنه أكثر الرواية عن الكلبي (وهو كذاب) وقد أُعتذر له أنَّ هذا جرى استئناسًا ليعلم الناس ما قيل في مفهوم الآية، وقد يقول الكلبي كلامًا جيدًا في التفسير موافقًا لما ورد في المأثور.

ثالثًا: المحرر الوجيز: لابن عطية الأندلسي (ت ٥٤١هـ)، قال الداودي: كتب التراجم والسير أجمعت على توثيقه وسعة علمه، وتفسيره خير شاهد على ثقته وأمانته.

وقال ابن جزي في مقدمة تفسيره: وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التآليف وأعدلها، فإنه اطلع على تآليف من كان قبله فهذبها ولخصها، وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدّد النظر، محافظ على السُّنة.

وقال أبو حيان في مقدمة تفسيره: وأبو محمد عبد الحق بن غالبِ بن عطية الأندلسي المغرِبي الغرناطي، أجل من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير.

قلت: وتفسير المحرر الوجيز من أجل كتب التفسير التي يجدر بطالب العلم ملازمته، والتأصل عليه، لغزارة فوائده، ودقة ألفاظه، وكثرة علومه التي تكسب الطالب ملكة جيدة في تفسير القرآن الكريم، حيث عُني ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره بحكاية الإجماعات، وذكر أقوال المفسرين والترجيح بينها، وبيان اعراب الآيات، وأوجه القراءات، وبعض القواعد والفوائد والتعقبات، فهو محرر كاسمه مع توسط حجمه، فدونك هذا السِّفرَ المبارك الذي لا ينبغي أن تخلو منه مكتبة طالب علم.

رابعًا: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: لأبي عبدالله القرطبي (ت ٦٧١هـ) وقيل: (ت ٦٦٨)

قال الذهبي في ترجمته من تاريخ الإسلام: وقد سارت بتفسيره العظيم الشّأن الرُّكْبان؛ وهو كامل فِي معناه.

وقال ابن فرحون في ترجمته مِن الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب: جمع في تفسير القرآن كتابا كبيرا في اثني عشر مجلدا، سماه كتاب" الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان" وهو من أجل التفاسير وأعظمها نفعا، أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن، واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والاعراب والناسخ والمنسوخ.

قلت: جامع القرطبي كاسمه جمع علومًا كثيرة تُشد لها الرحال، وهو أحد كتب التفسير التي لا غنى للمعتني بالتفسير عنها، وبه يمكن الاستغناء عن كثير من التفاسير، ومن عكف عليه حظي بعلوم كثيرة متعلقة بالقرآن الكريم، فهو دُرة بين كتب التفاسير، ولكن لم يسلم مؤلفه من التأويل لبعض الصفات على مذهب الأشاعرة فيُنتبه لذلك.

خامسًا: تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)

قال فيه السيوطي في طبقات الحفاظ: إنه التفسير الذي لم يؤلف على نمطه مثله.

وقال عنه الشوكاني في البدر الطالع: وهو من أحسن التفاسير إن لم يكن أحسنها.

وقال الشيخ أحمد شاكر في كتابه العمدة الذي هو اختصار لتفسير ابن كثير: من أحسن التفاسير التي رأيناها وأجودها وأدقها بعد تفسير إمام المفسرين أبي جعفر الطبري.

وقال العلامة الألباني: ما رأينا مما في أيدينا الآن من التفاسير مثل تفسير بن كثير.

سادسًا: التسهيل لعلوم التنزيل: لابن جُزي الكلبي (ت ٧٤١هـ)

قال أبو حامد محمد العربي الفاسي المغربي (ت ١٠٥٢هـ) يوصي أبناءه: ومن أحسن التفاسير التي أحب لكم مطالعتها وتفهمها: تفسير ابن جُزي، ولا أقبل قول من يخالف ذلك.

وقال الشيخ خالد السبت في درس صوتي يشرح فيه تفسير ابن جزي: فهذا كتاب في غاية الأهمية، لا يستغني عنه طالب العلم، وهو مع إيجازه فالمؤلف يحرص فيه على الوفاء بالمعنى، يختصر جدا مع ذكر الأقوال، وهو كتاب ملخص، لكنه عميق ودقيق قلَّ أن يوجد مثله .

قلت: وتفسير ابن جزي من التفاسير التي يحسن بطالب العلم أن يُعنى بها ويتأصل عليها لاختصاره، وتحريره وتدقيقه في كثير من المواضع مما يُكسِب الطالب متانة ومُكنة في هذا العلم، وقد جرى المؤلف في الصفات على مذهب الأشاعرة فيُنتبه لذلك.

سابعًا: تفسير الجلالين: للجلال الدين المحلى (ت٨٦٤)، وجلال الدين السيوطي (ت٩١١).

يُعد من أنفع كتب التفسير لطالب العلم المبتدئ وقد لقي اهتمامًا من أهل العلم وانتشارًا واسعا وقد اثنى عليه كثير من العلماء مع تنبيههم لما اشتمل عليه من تأويل الصفات وبعض الأخطاء، وممن أثنى عليه الشيخ ابن باز والعثيمين والفوزان وقال فيه الشيخ عبدالكريم الخُضير: تفسير الجلالين متن متين متقن محرر يمكن أن يربى عليه طالب علم في التفسير إلا أنه في الاعتقاد له مخالفات في التأويل في الصفات وغيرها ينبه عليها الطالب.

ثامنًا: التحرير والتنوير: للطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ).

وهذا الكتاب محصلة خمسين عاما من العمل، وتميز هذا التفسير بالاهتمام بالجوانب البلاغية للقرآن، وذكر أسماء السورة ومكان نزولها وترتيب نزولها وعدد آياتها.

وقالت عنه دار النشر التونسية: تفسير التحرير والتنوير من أهم التفاسير الذي يرجع إليه المختصون، واستطاع مؤلفه من خلاله أن يضع نفسه بين أبرز علماء تفسير القرآن، وهو من أبرز تفاسير العصر الحديث.

قلت: وتفسير التحرير والتنوير من مطولات كتب التفسير فهو مطبوع في ثلاثين مجلدا، وقد اختصره الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في مجلدين وسماه التقريب لتفسير التحرير والتنوير، وقد جمع ابن عاشور في تفسيره الكثير من العلوم الشرعية وغير الشرعية التي وظَّفها في إبراز كمال الشريعة واستيعاب كتاب الله عز وجل لكل شؤون الحياة الدينية والدنيوية من مسائل طبية ونفسية وجغرافية وفلكية وتاريخية وأدبية وغير ذلك فهو كتاب فريد في بابه جمع ما لم يجمع غيره، مع قوة في العبارة وإسهاب في تحليل الفاظ

وبيان مدلولاتها، ولذا لا يتناسب الكتاب مع طالب العلم المبتدئ فضلا عن العامي، وإنما يناسب طلبةَ العلم الحاذقين المتمكنين في علوم العربية وغيرها من علوم الشريعة، وقد ذهب في بعض آيات الصفات مذهب الأشاعرة في التأويل، وسار على مذهب السلف في غيرها من مباحث العقيدة، يُقرِّر فيها مذهب السلف ويرد على المخالفين كالمعتزلة والخوارج والصوفية وغيرهم، وبنحوه من كُتب المتأخرين؛ تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: لأبي الفضل محمود بن عبدالله الألوسي (ت ١٢٧٠هـ).

تاسعًا: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: لعبدالرحمن السعدي (ت ١٣٧٦هـ).

قال الشيخ العثيمين في مقدمته للكتاب: فإن تفسير شيخنا عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى المسمى (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) من أحسن التفاسير حيث كان له ميزات كثيرة [ثم ذكر جُملة من مميزاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ]

وقال الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل في مقدمته له: جاء هذا التفسير سهل العبارة، واضح الإشارة، وصاغه على نمط بديع بعبارات قريبة لا خفاء فيها ولا غموض، فهو يعتني بإيضاح المعنى المقصود من الآية بكلام مختصر مفيد... إلى آخر كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ

عاشرًا: المختصر في تفسير القرآن الكريم: تأليف جماعة من أهل العلم المعاصرين.

وقد أثنى عليه كثير من أهل العلم والاختصاص، وزكاه العلامة عبدالعزيز آل الشيخ وآخرون، وهذا التفسير يجمع بين مميزات كثيرة ذُكرت في مقدمة الكتاب، وهو جدير بالاهتمام، ومداومةِ القراءة فيه وبالأخص للمبتدئ والعامي؛ لوضوح عبارته وسهولتها، والعناية بتفسير المفردات الغريبة وتمييزها باللون الأحمر ليسهل الوقوف عليها لمن أراده.

خاتمة

في المنهجية العلمية في دراسة التفسير

يبدأ طالب علم التفسير بدراسة مدخل إلى علم التفسير كغيره من العلوم؛ يتصور به الفن، ويتعرف على مبادئه وأهم متعلقاته، ثم ينتقل إلى دراسة أصول التفسير وقواعده، ثم يتوسع إلى دراسة كتاب في علوم القرآن، ثم يلِج إلى التفسير مُبتدِأً بحفظ متن في غريب القرآن ودراسته، ثم يتلقى مختصرا في التفسير يتأصل فيه كتفسير الجلالين، ثم يتوسع بعد ذلك في مطالعة كتب التفسير المنصوح بها، ويجعل له تفسيرًا يعكف عليه قراءة وتحشيةً وتعليمًا، حتى يرسخ ويصير نابغًا في هذا العلم بإذن الله.

فهرس

المقدمة ٥

الفصل الأول: مبادئ علم التفسير ٦

المبادئ العشرة لعلم التفسير ٧

الفصل الثاني: نشأة علم التفسير وتطوره ١٠

الفصل الثالث: مراحل التدوين في التفسير ١٢

الفصل الرابع: علاقة التفسير بعلوم القرآن ١٤

الفصل الخامس: مصادر التفسير ١٥

تفسير القرآن بالقرآن ١٥

تفسير القرآن بالسنة ١٨

تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضي الله عنهم ٢٠

تفسير القرآن بأقوال التابعين رحمهم الله ٢٣

تفسير القرآن باللغة العربية ٢٥

تفسير القرآن بالإسرائيليات ٢٧

تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد ٢٨

الفصل السادس: أقسام التفسير ٣٢

أقسام التفسير باعتبار معرفة الناس له ٣٢

أقسام التفسير باعتبار طريق الوصول إليه ٣٥

أقسام التفسير باعتبار أساليبه ٣٧

أقسام التفسير باعتبار طريقة تفسير مفرداته ٤١

أقسام التفسير باعتبار اتجاهات المفسرين ٤٣

الفصل السابع: أنواع الاختلاف في التفسير وأسبابه ٤٥

الفصل الثامن: شروط المفسر ٤٨

الفصل التاسع: آداب المفسر ٥١

الفصل العاشر: ما ينبغي للمفسر مراعاته ٥٢

الفصل الحادي عشر: أشهر المفسرين ٥٣

الفصل الثاني عشر: أفضل كُتب التفسير ٥٥

خاتمة في المنهجية العلمية في دراسة التفسير ٦١

الفهرس ٦٢